المقـــدمـــــة

يعد مجال القراءات القرآنية مجالا خصبا للدراسات القرآنية واللغوية على السواء ،فلقد تناوله المفسرون واللغويون كل حسب معرفته وإدراكه وفهمه،كما أن موضوع القراءات القرآنية من أهم ما اعتنى به العلماء تحقيقا وجمعا وتوجيها،وقد ألفت كتب كثيرة ونظمت أبيات عديدة في بيان قواعد هذا العلم،فجمعت القــراءات وتم تصنيفها،وتناولها العلماء بالتوجيه والدراسة ،كما بيُّنوا قواعد رسمها ؛أي الرسم العثماني .

ويرجع تاريخ نشوء القراءات إلى نزول الوحي على النبي ρ ،وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ρ فيما يتعلق بالأحرف السبعة؛فقد روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب أن النبي ρ كان عند أضاءة بني غفار، قال:فأتاه جبريل - عليه السلام – فقال :{إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف،فقال:أسألك الله معافاته ومغفرته ،وأن أمتي لا تطيق ذلك،ثم أتاه الثانية فقال:إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القـــرآن على حـــرفين، فقال:أسألك الله معافاته ومغفرته،وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال:إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف،فقال: أسألك الله معافاته ومغفرته،وإن أمتي لا تطيق ذلك،ثم جاءه الرابعة فقال:إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف،فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا}[1].

وهناك أحاديث كثيرة تناولت موضوع الأحرف السبعة،منها الأحاديث الصحيحة الوارد عن النبي ρ :

{إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا منه ما تيسر }[2].

وانطلاقا من هذا الحديث النبوي الشريف ،وإيمانا مني بضرورة الكشف عما خفي في بعض الدراسات،

أو توجيه بعض القراءات توجيها لغويا،بالرغم من أنني لم أكن السباق إليها.

وقد كانت القراءات القرآنية مثار جدل قائم بين علماء اللغة والفقه،مما وَلَّدَ مجموعة من القضايا المختلفة المتعلقة بالقراءات القرآنية ؛

- كيف نشأت القراءات ؟
- ما صلتها باللهجات العربية ؟
- ما علاقتها برسم المصحف ؟
- ما موقف العلماء من هذه القراءات ؟
- كيف تكون القراءة مقبولة ،وكيف تكون شاذة ؟

هذه التساؤلات والاستفسارات تحدث عنها الكثير من علماء اللغة والفقه كل حسب وجهة نظره إلا أن إجماعهم كان على القراءات السبعة،ثم العشرة،ثم الأربعة عشر،وما خرج عنها فهو شاذ ،وحكم الشرع قد فصل فيه وهو عدم جواز التعبد بالقراءات الشاذة.

والقراءات السبع هي المتفق عليها إجماعا ،ولكل منها سند في روايتها ،وطريق في الرواية عنها ،وقد جمعها ابن مجاهد في كتاب لاختياره الخاص ،وقد أورد ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر، مقياس القراءة الصحيحة:[1]

---

[1] العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1987، 303/12

ابن حنبل،المسند،دارصادر،بيروت،(د.ت)،127/5،128.

[2] فتح الباري،33/5.

[1] ابن الجزري،النشر في القراءات العشر،تقديم علي محمد الضباع ،دار الكتب العلمية،بيروت، ط1 ،1418هـ ،1998، 15/1.

- كل قراءة وافقت العربية ولو لوجه .
- ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.
- وصح سندها .

وهذه الأركان الثلاثة هي ضوابط للقراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا إنكارها.ومتى اختل ركن من الأركان الثلاثة أطلق عليها قراءة ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم ،ويقول ابن الجزري مشيرا إلى أركان القراءة الصحيحة[2]؛

فكل ما وافق وجه نحو وكان للرسم احتمالا يحوي
وصح إسنادا هو القرآن فهذه الثلاثـــــــــة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنه في السبـــــعة

والقراءة الشاذة أو الضعيفة في نظر علماء اللغة أو الفقه ،مرد ضعفها إلى أسباب وضوابط معينة وهي اختلال ركن من الأركان السالفة الذكر ،وكون هذه القراءة مردودة ولا يعتد بها وكونها تأخذ طابع التفسير أو الشرح. وهذا ما حدث لقراءة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الهذلي ،بالرغم من مكانته القريبه من رسول الله ρ

إلا أن قراءته خرجت من دائرة القراءات الصحيحة وصنفت في القراءات الشاذة لأنها لا تخضع للأركان الصحيحة،ومنه جاءت فكرة عنوان المذكرة الموسومة بـــ: **التوجيـــــــه اللغوي في قراءة عبد الله بن مسعود - دراسة في تشكيل البنية اللغوية للقراءة الشاذة-**

ولعل من أهم الأسباب أو الدواعي التي جعلتني أميل إلى اختيار مثل هذا الموضوع هو:

- كون عبد الله بن مسعود من أقرب المقربين من الرسول ρ ورغم ذلك لم تحض قراءته باتفاق الجميع، وبالتالي أخرجت من دائرة القراءات الصحيحة .
- إبراز المواضع التي انفرد بها ابن مسعود ومحاولة تسليط الضوء عليها،وتبيان قيمتها اللغوية وتوجيهها.
- إضافة إلى أسباب أخرى أوجزها فيما يلي:

1. محاولة الكشف عن مرجعية ابن مسعود في القراءات.
2. الرغبة في إبراز قيمة قراءة ابن مسعود من بعض النواحي.
3. على الرغم من أن القراءة الشاذة نشأت في بيئة لغوية فصيحة هي بيئة الاحتجاج اللغوي،وأصحابها من اللذين اعترف لهم بالفصاحة والبلاغة إلا أن هذه القراءة لم تأخذ نصيبا وافرا من الدراسة،فكان البحث محاولة لإبراز القيمة اللغوية لقراءة ابن مسعود وكذا الإفادة منها في توجيه بعض المسائل اللغوية.

كما يهدف البحث أيضا إلى دراسة وبيان أهمية البنية اللفظية والتركيبية للقراءة الشاذة،وتمثلت إشكاليته في جملة من الأسئلة – والتي هي بمثابة منطلقات مؤسسة لدراسة موضوعية- وفق معايير وقوانين علمية في مجال الدرس اللغوي،حيث أنه يمكن لهذه الدراسة أن تقدم تصورا آخر لمنهج لغوي قادر على توجيه القراءة الشاذة توجيها نحويا وفق البنية اللفظية والتركيبية.

ولقد حاولت أن أتطرق إلى جميع الجوانب المتعلقة بهذه القراءة إلا أنه صادفتني عوائق كثيرة ومشاكل عويصة،تكمن في عدم توفر المصادر بالقدر الكافي وكذا صعوبة الحصول عليها ،وكذلك تناثر الآراء واختلافها فيما يخص قراءة عبد الله في التفاسير اللغوية والفقهية

---

[2] ابن الجزري،طيبة النشر في القراءات العشر، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط1 ،1421هـ ،2000م، ص7.

القديمة، وإن كانت هذه الأخيرة بمثابة المفتاح الذي أنار لي الطريق الخوض في هذه القراءة الشاذة.

وموضوع البحث في جانبه الشكلي والموضوعي والمنهجي يتطلب إعداد خطة تتوافق ومحتواه ،فجاء البحث موزعا على: مقدمـــــــــــة وتمهيـــــــد وفصـــــــــول ثلاثـــــــــــة

- **المقدمـــــــــــــــة:** تحدثت فيها عن موضوع البحث وأهميته وهدفه وأسباب اختياره وكذا الطريقة أو المنهج الذي اعتمدت عليه وأقسامـــــــه.
- **التمهـــــــــــــــيد**: خصصته لنسب وسيرة وحياة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ومكانته عند النبي ρ ووفاتـــــــــــه.
- **الفصـــــــل الأول**: وقد عنونته بـــ: " القراءة الشاذة في الدرس اللغوي" ،وتناولت فيه توثيق القرآن الكريم وأهميته،ثم نشأة القراءات ،ثم عرجت على تعريف القراءة الشاذة ذاكرا أهم القراء الذين أسندت إليهم القراءات الشاذة ومؤلفاتها ،كما تطرقت إلى أهم الأسباب التي أدت إلى عدم إدراج قراءة عبد الله بن مسعود ضمن القراءات المشهورة، ثم استعرضت بعض المصطلحات في علم القراءات،وختمت الفصل بترتيب مصحف ابن مسعود ووضعت له ملحقا خاصا وهو معجم قراءة ابن مسعود.
- **الفصـــــــل الثاني:** وعنونته بـــ:" التوجيه اللغوي للبنية اللفظية للقراءة "،وتناولت فيه المواضع الصوتية التي انفرد بها ابن مسعود؛من إدغام وإظهار، وإمالة،وأصوات لين ،وإبدال،ثم المواضع الصرفية؛حيث تطرقت إلى باب الجنس- التذكير والتأنيث- وباب العدد- الإفراد والتثنية والجمع- ومظاهـر الاشتقاق. وختمت الفصل بالمواضع المعجمية التي انفرد بها ابن مسعود.

- **الفصـــــــل الثالث**: وعنونته بـــ: " التوجيه النحوي للبنية التركيبية للقراءة "؛فتطرقت إلى استعمال الأفعال اللازمة والمتعدية،كما تناولت ظاهرة الإعراب؛من رفع ونصب وجر وتنوين ،وتطرقت إلى ظاهرة التقديم والتأخير والزيادة والحذف.
- **الخاتمـــــــــــــة**: أوجزت من خلالها ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث، وذلك لأجل إبراز خصوصية القراءة الشاذة وإبراز جملة من الأمور:
  - مدى أهمية قراءة ابن مسعود.
  - المقارنة بين قراءة ابن مسعود وقراءة بعض القراء.
  - إظهار بعض الخصوصيات اللغوية للقراءة الشاذة .
  - التعرف على تشكيل البنية اللغوية للقراءة.

ولعل أبرز قضية طرحها إشكال البحث، وكانت من بين النتائج التي توصلت إليها ؛هي مدى توافق القراءة الشاذة مع أحكام العربيـــة وبالتـــالي التوصل إلى إيجاد منهج لغوي يضـــاف إلى مناهج النحاة، لكـــي يسهم في توجيه قواعد أو ترجيح بعضها أو تأييد البعض الآخر.

واقتضى هذا البحث إتباع المنهج الوصفي الذي يعتمد الإحصاء، وذلك لأجل حصر مجالات قراءات ابن مسعود لأنه يقدم أساسا على وصف وتحليل الظواهر اللغوية المشكلـــة للبنيـــة اللفظية والتركيبية،بغية إظهار الخصوصية اللغوية للقراءة الشاذة.

أما مصادر البحث ومراجعه فقد تنوعت بتنوع مواطن القراءة الشاذة وتنوع فصوله،فقد كان لزاما علي أن أعتمد على كتب التفاسير كتفسير بحر المحيط لأبي حيان ،والمحتسب لابن جني،والمحرر الوجيز لابن عطية،والكشاف للزمخشري ،وكتاب الكشف للقيسي،ومعاني القرآن للفراء وإملاء ماَمنَّ به الرحمــن للعكبري واستعنت كذلك ببعض المعاجم كلسان العرب لابن منظور،ومختار الصحاح للرازي،والقاموس المحيط للفيروز آبادي.

كما لايفوتني أن أتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور بلقاسم دفة، الذي قبل بكل تواضع الإشراف على هذا البحث، وتقديم يد العون في كل صغيرة وكبيرة تتعلق به، ولم يدخر جهدا في سبيل إخراجه على الصورة اللائقة به،والعمل على توجيهي بفضل نصائحه وإرشاداته القيمة التي ساعدتني على تخطي بعض الصعاب، لاسيما فيما يتعلق بالجانب المنهجي لهذا البحث،فله مني تحية تقدير وعرفان.

ومن باب رد الجميل والإعتراف به، أقدم تحية خاصة وخالصة لأستاذي ومعيني الدكتور محمد خان الذي لم يبخل علي بمصادر ومراجع تفتقر إليها المكتبات،فكانت - هذه المصادر القيمة،وكذا النصائح التي يسديها إلي من حين إلى آخر أثناء اتصالي به طلبا للمصادر والمعلومات والتوجيهات – بمثابة المعين على تخطي الصعاب.

وبعد كـــل هذا ،أمـــلي في الله كبـــير ،وأن عملا كهـــذا يقتضي التوجيه والترشيـــد من طـــرف اللجنة المختصة،لتقويمه وتفحصه حتى يتمكن من رؤية النور.

والله أســـأل أن أكون قد وفقت في هذا البحث المتواضع ،والحمـــــد لله في الأولى والآخرة.